



ايار ١٩٢٨

قداسة الجبر الاعظم
البابا بيوس الحادي عشر

بريله الذهبي الكرنولي

بقلم الموري جتروس غالب

٥

ارتقاؤه الى المدة البطرسية

في اليوم الثاني والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٢ ، انتقل الى مقر
الابرار السعيد الذكر البابا بنديكتوس الخامس عشر ، بعد ان قضى في الجبرية
سبع سنوات بنيف كانت سنوات استهاد له ، لكنها ملامى بالاعمال الدنيوية
التي استدعت اعجاب العالم وامتنانه لما بذله فقيده الكلككة من المساعي والجهود
في تخفيف ويلات البشرية مدة الحرب العالمية المريعة . وقد اعترف الجميع بفضل
واقاموا الآثار تحليداً لذكوره حتى في عاصمة تركية نفسها .

وفي اليوم الخامس عشر لوفاته ، وهو اليوم السادس من شهر شباط ، وقع انتخاب الكرادلة المجتمعين في رومية على السيد اشيل راتي ، مطران مديولان ، فاطن الكردينال بيلاتي عميد الكرادلة الثامنة ، وبمقر الجمع المتألب في ساحة القديس بطرس ان قد اختار امراء الكنيسة السيد اشيل راتي المذكور ، وانه قد اتخذ اسم بيوس الحادي عشر . فعلا الهاتف ، وشمل الفرح الكنيسة المترلة ، وصاحت الجماهير : فليحي البابا الملك .

وبعد هنية ظهر البابا على شرفة كنيسة القديس بطرس الخارجية فبارك ذلك الحشد ثلاثاً . وكانت تلك المرة الاولى بعد سنة ١٨٢٠ ، يطل فيها الجبر الاعظم على ساحة القديس بطرس . فتناولت الصحف هذا الخبر ، وعلقت عليه الفصول الضافية . لكن بلاغاً صدر من البلاط البابوي اوضح القصد من هذا العمل ، وهو ان البابا انا اراد ذلك ليعين انه لا يريد ان تنحصر بركة الاولى في الشعب الحاضر امامه ، ولا في رومية وايطالية ، بل ينبغي ان تمتد الى العالم بامره حاملة بشرى ورجاء المصالحة بين الشعوب ، تلك المصالحة التي هي الضالة المنشودة . ولا يتصد سوى ذلك ، لان الجبر الاعظم يحرض تام الحرص على اليسين التي اقسما بالمحافظة التامة على حقوق الكنيسة والكرسي الرسولي .

وبعد ان قدم الكرادلة الخضر للبابا ، سر امامهم وخاطب كلاً منهم بلغة وطنه . ثم في مساء ذلك اليوم اقر الكردينال غباري في وظيفته ، اي وزارة الدولة البابوية . وتمت حفلة التتويج بابي . فظاهرها يوم الاحد ١٢ شباط بحضور هيئة السفراء . والاشراف ، وعائلة الجبر الاعظم ، وعدد غفير من الكرادلة والاساقفة والمؤمنين . وبعد الانتهاء . منها اطل البابا ايضاً على شرفة الكنيسة الخارجية مرتدياً اثوابه الجبرية وبارك الشعب الحاضر ثلاثاً ، ثم تقبل تهاني الكرادلة .

وفي ١٨ منه قدم سفراء الدول اوراق اعتمادهم واعرب عيدهم ، سفير اسبانية ، عن تهاني الحكومات التي يمثلونها ودعا للبابا الجديد بالعمر المديد ليواصل عمل المصالحة الذي كان قد باشره سلفه المطوب المذكور بنديكتوس الخامس عشر . فاجابه بيوس الحادي عشر شاكرًا ، واعلن انه لن يجيد عن خطة

سلفه ، وهو يقبض ان تلتف حوله هيئة سفراء . ممتازة لا يجهل ما يكون لها من التأثير في عالم السياسة .

ما فرغ صاحب القداسة من المقابلات الرسمية حتى انصرف الى الوقوف على احوال الكرسي الرسولي والكنيسة . فتعرف الى كل من موظفي الدوائر الرومانية ، واستوضحهم مجرى الامور . ثم اثبت ما كان قد سبق فاتخذ سلفه من القرارات والتدابير ، واهمها المؤتمر القرباني الالهي السادس والعشرون المنوي التامه في رومية ، والاحتفال بمرور ثلاثة قرون على تأسيس مجمع نشر الايمان ، ثم نقل ادارة عمل نشر الايمان الى رومية لاسباب وجيهة . وقد تمت كل هذه الحفلات بكل ابهة ، واهمها المؤتمر القرباني الذي افتتحه البابا بنفسه (٢٤-٢٩ ايار) وختمه بقداس جبلي اقامه يوم عيد الصعود ، بعد ان كان ترأس قبلاً السجود الليلي ، ووزع المناولة على المؤمنين مدة ساعة وربع ساعة . اما التطواف الذي جرى فحدث عنه ولا حرج . ويمكن القول ان رومية باجمها اشتركت فيه ، وقد تولى تأمين النظام وحسن السير جنود الحامية وعددهم عشرة الاف . اما التذكار المنوي الثالث لتأسيس مجمع نشر الايمان فسبق الاحتفال به مؤتمرً للرساليات ، وخطم بقداس جبلي اقامه البابا نفسه وخطب فيه عن واجب الكرازة والتعليم . ثم عُقد اجتماع قليت فيه الخطب بسبع وعشرين لغة ، امام الحبر الاعظم الذي قال كلمة الحسام معلناً ان نفسه لن تذوق الراحة ما دام يعلم انه يوجد نفوس تنسكع في دبابير الضلال ، فهو يرغب في تنشيط الدعوات للرساليات ، ولا يأنف من ان يمد يده مستندياً سخاء المؤمنين الحقيقيين ، الذين يعلمون ان اشتراكهم في مساعدة المرسلين هو عمل عظيم له عند الله اجر جزيل وكانت احوال اوربة المضطربة تشغل بال البابا ، وكان يخشى ان تطير شرارة فتشعل نار فتتجدد يوتهب النفوس لها ما ابتقه الحرب العالمية في القلوب من الضغائن واورثته من الحراب المادي والادبي ، فأخذ برسائله المفعمة حكمة وحناناً يناشد الشعوب وولاة امورها ان يقلعوا عن سياسة العنف ويلجأوا الى طرق مصالحة القلوب وجلاء النفوس من الدخائل الوييلة ، لان اساس السلم ودعامته هو التسامح والمهبة ، ولا سبيل للوصول الى تلك

الناية ألا باعادة الكنيئة الى القلوب وتفريز مبدأ السلطة ، وهذا ما لا يستطيعه غير الكنيئة التي ترسخ في الافراد والجماعات فكرة المغفرة بتأييدها ملك المسيح على العيال والشعوب . فالمسيح ملك السلام ، ولا خلاص لجماعة تنكر الله وتبذ مبادئ المسيح وملكه . ولذا ما انفك ينشط كل عمل يُقصد منه تعليق المسيح في الهيئة الاجتماعية ، وتخليصها من التعاليم اللادينية مصدر القوضى العقلية والاباحية ، وتطاحن طبقات الشعوب في سيل الريح المادي وملذات الحواس . وقد اوضح صاحب القداسة هذه الامور في رسالته الاولى العامة « *Ubi Arcano* » (٢٣ ك ١ ١٩٢٢) وفي سنة ١٩٢٥ رسم ان يحتفل كل سنة بعيد المسيح الملك تذكيراً بان الملك الواجب ان يتسلط على الجميع هو المسيح القادي . ثم ما لبث ان اعاد الى اذهان المسيحيين ان لهم قدوة يحسن التثقل بها في حياتهم الدنيا ليتتوا بعبادة الآخرة ، فذكروهم ، في منشورات قبية ، ما تحلى به القديسون العظام من الفضائل الراسخة . فانهم جمعوا بين العلم والفضيلة السامية لانهم ملكوا المسيح في عقولهم وقلوبهم وخضعوا لشرائعه خضوعاً تاماً . وما حادوا قط عن الحطة التي رسمها الانجيل الطاهر فحسب ان يُجملوا منارة يهتدي بنورها جميع الذين يهتم خلاص نفوسهم وخدمة الكنيئة . ومتى طالعت رسائله في القديسين فرنسيس سالس ، واغناطيوس ده لويولا ، وفرنسيس كسافاريوس ، وترازية العظيمة ، وفيلبوس زري ، ولويس غوتراغا ، وتوما الاكروبي ، ويوشافاط شفيح الصقابة ، وفرنسيس الاسيزي ، تجلى لك فيها سوا افكار الحبر الاعظم وطروحه الى ان يحمل ابناؤه على السعي وراء السعادة الحقيقية . مبنياً لهم ان الحياة الدنيا ليست سوى سلم ترتقيه لتبلغ الى السماء . ولم تنحصر مطامح بيوس الحادي عشر في ارشاد ابنسا . الكنيئة الكاثوليكية ، بل انه شمل النفوس كلها بجنانه وغيرته . فسواء احتفل بتذكار تأسيس مجمع ثمر الايمان او مدرسته ، او بتدشين متحف الارساليات الذي امر بانشائه ، او استقبل المسلمين ، او علم بالاحتفالات المقامة احياء لفضل منشي جميات الرسالات كالكردينال لاثيجري ، ما كان يدع فرصة تفوته ، بل كان يستفيد من الاحوال كلها فيطريئ المسلمين واعمالهم ويشجعهم ويستحث المؤمنين

ليشروا الدعاية ، حتى ينشط الشبان الاتقياء . للاخراط في سلك تلك الجماعات المتخصصة للاراسيات ، ويجودوا بالهم مساعدة لعمل التبشير العظيم . وقد نشر في هذا الموضوع رسالة شائقة في الاراسيات اثني فيها على الصلة المشتغلين بالحصاد ومشاريعهم ، ونفعهم بالنصائح الايوة ، و اشار عليهم بان يهتموا باعداد اكليروس وطني في كل بلاد يفتخرها للمسيح الملك حتى يعرف ان التبشير ليس دعاية وطنية بل خلاصية روحية . واوصى الجميع بان لا يحتقروا الوطنيين او يمدوهم احط منهم متزلة وعقلاً واهلية للتهذيب ، لان الاختبار اثبت عكس ما يزعمون . ثم ايد الجبر الاعظم خطته بيامته بذاته ستة اساقفة صينيين واسقفًا يابانياً . ولم يكن اهتمام بيوس الحادي عشر بتهذيب الاكليريكيين والرهبان اقل منه بتنشيط عمل التبشير ، لان نجاح الدعاية الانجيلية يتوقف على ما يتحلى به الكاهن العالمي والقانوني من الفضائل الراسخة والعلم الثابت . فاذا عالج في الموضوع رسالتين هامتين احدهما للرهبان ، والثانية لعلم اساقفة العالم ، في تهذيب الاكليريكيين ، وتثقيفهم ، وتنظيم المدارس الاكليريكية بمقتضى الحاجات المصرية . ثم الخ في وجوب تضلعهم من الدروس الكتابية .

وبما لفت انظار الجبر الاعظم مساعي روتسا . المذاهب المسيحية المنفصلة عن الكنيسة لضم شملها ، وتوحيد كلمتها . فخاف ان يُجذع اصحاب النيات الالية هذه التظاهرات الخلابة ، ويميلوا الى تحقيق فكرة توحيد الكنيسة بتضحية الحقائق التي استودعها السيد المسيح كنيسته ، فاسرع الى نشر رسالته المشهورة في «وحدة الكنيسة الحقيقية» كشف بها القناع عمّا يرمي اليه اصحاب هذه الدعاية ، وحذر المؤمنين من الانخداع بها ، اذ لا يمكن ان تكون وحدة ايمان حقيقية في غير كنيسة المسيح التي سلّمت السلطة فيها لخليفة القديس بطرس هامة الرسل . فان ودبعة الايمان لا يمكن التساهل بانقاصها ارضاء للخواطر وتسهلاً لتفاهم واهن معرض لتقلبات الالهواء . واختلاف الاغراض . (٦ ك ٢ ١٩٢٨)

واخيراً استحلّف العالم الكاثوليكي في رسالته « *Miserentissimus* » (٨ ايار ١٩٢٨) ان يقوم بواجب التعرّض لقلب يسوع الاقدس ، لانه ما من مسيحي يمكنه ان يعتبر نفسه مسيحياً حقيقياً ان لم يشترك مع المسيح في التعرّض

عن الخطايا ، ولا يمكنه ان يتسع بجسد المسيح ان كان يأبى ان يشاطره التكفير عن المآثم . وهذا ما يريد قلب يسوع الاقدس وقد اوضحه للقديسة مارغريتا الاكوك . ثم فرض صاحب القداسة على المؤمنين ان يتاوا فعل التوبى الذي وضعه هو في عيد قلب يسوع في كل سنة .

ولا يسعنا اغفال ذكر السنة المقدسة ١٩٢٥ التي فتح البابا فيها كنوز الرحمة والفران لرازي رومية ، ثم اذاعها في العالم كله لسنة ١٩٢٦ . وقد تجلت فيها تقوى المؤمنين باقبالهم على غم هذه النعم والاستفادة بنجيات الكنيسة الروحية . وفي اثنتان جرت احتفالات عظيمة منها اعلان قداسة ترازية الطفل يسوع ، وبطرس كاتيزيوس ، والراهبتين ماري مادلين پوستل ، وصوفيا بارا ، والكاهنين يوحنا المعدادن فياناي ، ويوحنا أرد . اما المطربون فعديدون منهم شهداء كقديسة اليسوعيون ، وبرناديت سوييرو التي ظهرت لها سيدتنا مريم العذراء في لورد . وجرت تطريبات غيرها في مدار حبرية بيوس الحادي عشر اكتفينا بالاشارة اليها .

٦

بيوس الحادي عشر والسرفبره

لما كان السيد راتي سفيراً بابوياً في بولونية ، درس عن كتب حالة روسية بعد الثورة التي قلبت نظام الحكم فيها وعمت اخراب في ارجائها ، فاشفق قلبه عليها واخذ يفكر في الطرق التي تمكنه من مذي يد المساعدة الى ذلك الشعب التمس الذي عضه الجوع بانياه ، وكادت الاضطهادات المتواصلة تقضي عليه . وما تبرأ السدة الرسولية حتى اخذ يسمى لتخفيف ويلات روسية ، فطامحاً الى استجلابها الى الكنيسة الرومانية ، ورد الحق ومنازه ، فحاول في مؤتمر جنيف ان ينال شيئاً من مفوضي السوقيات . ثم استأنف مداولة مندريهم في رومية . واخيراً اذن لبعثة حبرية ان تذهب الى روسية لتوزيع الاعانات على تلك الجماعات التي كان يفككها الجوع فتكاً ذريعاً ، واذاغ في العالم رسالة استدى بها اكنف المحسنين ، فاجابوه الى ندائه اذ قد اكتب هو نفسه بليوني فرنك ايطالي ، فوردت عليه التبرعات حتى بلغت العشرين مليوناً أعطيت كلها للروس بواسطة البعثة ، وبقيت هذه مثابرة على عملها الى ان منعها السوقيات .

وكذلك توسط لخلص البطريرك الروسي تيخون ، وطلب من السوفيات ان ييموه الاواني الكنسية التي كانوا ضبطوها ليقبها للكنيسة الروسية ، وبذل كل ما يوسعه لينجي الاساقفة الكاثوليكين والاكليروس من مغالب اولئك المضطهدين ، فوفق الله اكثر ماعيه ، وهو لا يزال من وقت الى آخر يرسل من يقتصد ابتناء المتبددين . وقد كلف مرة السيد دريني رئيس المعهد الشرقي القيام بهذه البعثة فغاطر بنفسه واتم مهمته الشاقة بكل نجاح . كما انه انتدبه الى حضور مؤتمر فلهراد المنعقد البحث في وسائل استجلاب الاخوة المنفصلين الى وحدة الايمان ، واوعز اليه ان يطرف الشرق ليقف على احوال الكنائس فيه . ومن دلائل عنايته اناشؤه لجنة خاصة لشؤون الروس ، وتأسيسه مدرسة اكليزيكية تعني بتهديب المرشحين للكهنوت . وقد اهتم قداسه اهتماماً خاصاً بالمعهد الشرقي ، وبالمدارس الاكليزيكية الحبرية المقامة لتربية الاكليزيكيين الشرقيين ، وحض اساقفة العالم على ترويج الدروس الشرقية ، وطلب منهم ان يرسلوا الى رومية طلبة يتخلعون من هذه الدروس حتى يفتقروا على حقيقة تاريخ الكنائس الشرقية ويتسربوا الطرق التي تؤدي الى الغاية المقصودة . ولم يدع سانحة الا اغتنمها لينشط كل ما يسهل للشرقيين اطلاعهم على الحقائق ، واطراً المعاهد التي تهتم بهذه الدروس وخص بالذكر منها كلية القديس يوسف في بيروت التي يديرها المرسلون اليسوعيون .

وارسل كتابات تهنته لصاحبي النبطة البطريرك الماروني ، وبطريرك السريان الكاثوليكين بمناسبة يوبيلها الفضي البطريركي . فاثني على اعماله الاولى ولاسيما مناهضته الشيعة الماسونية ، وتأسيسه راهبات العائلة المقدسة المارونيات ، وسعيه في تجديد المدرسة المارونية الرومانية ، وفضائله المتأخرة ، وخص الثاني بتقدير عمله واجتهاده ، وسهره على شؤون طائفته الروحية .

ولما ذهب الى رومية صاحب النبطة بطريرك الروم الكاثوليك امر صاحب القداسة بان يجري له استقبال فخيم دلالة على ما لهذه الطائفة من المحبة في قلبه . ولم يفتك عن تنشيط الاكليزيكيين الشرقيين في رومية ، ليزلوا جهدهم في كسب روح الفضيلة والعلم والتعلق بالكرسي الرسولي . وقد اقام مدارس

اكليزيكية للطوائف التي خلت منها كالاتقاط والروس .
 اما الارمن فقد ابدى نحوهم من العطف ما لا يجتنب به وصف ، فانه مدغم
 بالمساعدات المادية ، وآوى يتيماتهم في قصره كمثل غاندولنو ، وجمع بطريركهم
 واساقفتهم في رومية اعقد مجمع طائفي (١٩٢٨) تحت اشرافه ، يمدون فيه
 النظر في تنظيم شؤونهم الروحية . فنقل كرسيم البطريركي الى لبنان ، وجمعت
 القسطنطينية مركزاً لرئيس اساقفة . ولم يبخل عليهم صاحب القداسة بما يساعدهم
 في ضيقاتهم . ففتح عليهم ، كما على سائر الشرقيين ، ان يسجلوا هذه الحنات
 بما التبر في تواريحهم .

اما الموارنة فلن ينسوا ابد الدهر عطف صاحب القداسة الذي رفع على
 المذابح ثلاثة من ابنا . طانقتهم ، وهم الاخوة المسابكيون الذين سفكت
 دماؤهم في دمشق بعضاً بالسدن سنة ١٨٦٠ ، فقد طوبهم الجبر الاعظم في
 العاشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٦ ، مع ثمانية دهبان من ابنا . القديس
 فرنسيس .

وتذكر الطائفة المارونية بالشكر تنازل الاب الاقدس وامره باجراء التحقيت
 البدائي عن عيد الله ، الابوت نعمة الله الحرديني وشربل بقاعكفرا ، والراهبة
 رفقا الرئيس ، وعطفه على هذه الدعوى ووعده بالتعجيل فيها ايده الله وزاد
 مجده وفخره .

ولن ننسى اشفاقه على منكوبي الثورة في لبنان ، واهتمامه بهم ، خصراً
 اهل راشيا ، لدى الحكومة الفرنسية . وماعيه في سبيل تأمين حقوق المسيحيين
 في فلسطين ، ومطالبته بمغفلتها وحفظ حقوق الجميع من كل تعد ، بما دعا
 الصبوين الى التخفيف من حدتهم ، والبريطانيين الى التؤدة وانتاني .

٧

اباا والارول

ان علاقات الكرسي الرسولي مع الدول قد بلغت من الولا . مبلغاً عظيماً ،
 فاعترف مسيو جونار سفير فرنسة الاسبق ادى التاكيكان بان البابا هو اعظم
 قوة اديية في العالم . ووردت على قداسته منذ تبوئه السدة البطرية دلانل

الاحترام من كل صقع ، وتسابق الى زيارته ملوك بلجيكة ، وانكلترة ، واسوج
واسبانية ، وولي عهد رومانية ، ورؤساء الحكومات الاخرى . وعقدت في عهده
معاهدات مع لثونية ، وليتوانية ، وبافارية ، وبولونية ، والبرتغال ، واتفاق مع
تشيكوسلوفاكية . ورخص بتأليف مجالس ابرشئية في فرنسا بعد الاتفاق مع
حكومتها على تأمين سير هذه المجالس بموجب القوانين الكنسية ، وحرمان اعمال
وتعاليم «الاكسيون فرانيز» وجريرتها الويلة .

الا ان حالة المكسيك كانت تشغل باله ، فسمى جد السمي لتخفيف وطأة
الاضطهاد عن الكاثوليكين . فلم يقتنع متسلو زمام الامور ولم يرعوا ،
فاذاع رسالة عامة ابان فيها حالة المكسيك وجلا اسباب الاضطهاد ، ودعا الجميع
الى التوصل اليه تعالى لقصر ايام الشقا . والاضطراب .

اما الحادث التاريخي الهام الذي سيكون منه التأثير العظيم في الحالة
الدولية ، وحالة الكنيسة الكاثوليكية ، ومملكة ايطالية خصراً ، فهو
الاتفاق الخطير الذي وقعه ، في ١١ شباط الماضي ، في قصر مار يوحنا لاتران ،
الكردينال غسباري وزير الدولة البابوية ، والسيور موسوليني رئيس حكومة
ايطالية . وفيه تعترف ايطالية بيادة الحبر الاعظم السامية على «حاضرة القاتيكان»
وتقر باستقلاله المطلق الحقيقي ، وتلغي شريعة الضمانات ، وتتصرف ازاء الحبر
الاعظم تصرفها مع الدول المستقلة الحاكمة ذاتها بذاتها . واطيف الى ذلك اتفاق
يقر حالة الكنيسة في ايطالية على اسس راهنة ، ويثبت حقوقها الجهرية
في تدبير شؤونها وشؤون الكاثوليكين من حيث الروحانيات ، ويعترف
للكنيسة بمجربا الاسى على عقد الزواج ، ويسهل لها تلقين الشبية المبادئ
المسيحية ، الى غير ذلك مما لا يسعنا تعداده في هذه العجالة ، وقد افرد «المشرق»
مقالة خاصة بهذا الموضوع . ولا ريب ان هذا الاتفاق هو اعظم الحوادث التاريخية
في هذا العصر ، وزينة يوبيل صاحب القداسة الكهنوتي الذهبي . متعنا الله باطالة
حياته السعيدة ! وكلل ماعيه باكللة النجاح لمجده تعالى ، وفخر الكنيسة ،
وخير النفوس ، وتعزيز الكثلركة !